دراسة وصفية تحليلية لظواهـــر نحوية استنبطت من القـرآن الكريم – البدل والمبدل منه والاستغاثة

د .عادل علي سالم جقلــول ـكلية التربية جنزور- جامعة طرابلس
Adela6980@gmail.com

A descriptive and analytical study of the grammatical phenomena derived from the Holy Qur'an - the substitute, the substituted, and the call for help

Abstract:
This study explores two grammatical phenomena that have not been thoroughly addressed in traditional grammar books, drawing their examples and significance from the Holy Qur'an. Employing a descriptive and analytical methodology, the research first reviews existing grammatical discourse regarding the omission of syntactic dependents and the stylistic device of seeking help. It then highlights how these two linguistic features appear within Qur'anic text. Through detailed description and analysis, supported by textual evidence from the Qur'an, the study aims to fill gaps left by classical grammarians and to contribute valuable insights to the field of grammar.

الملخـص:

يعرض هذا البحث ظاهرتين نحويتين ثم استنباطهما من القرآن الكريم لم تتناولهما كتب النحو بالدراســة، وقد اعتمدت هذه الدراســة على المنهج الوصــفي التحليلي، حيث تم عرض ما ورد في بعض كتب النحو حول حذف التوابع وما قيل في حذفها، وأســلوب الاســتغاثة وما قيل فيه، وبعد ذلك انتقل البحث لعرض تلكما الظاهرتين نحويتين اللتين وُجدتا في الكتاب العزيز، وســيجد القارئ الوصــف والتحليل في عرضــهما مدعماً بالشــواهد القرآنية. وقد أعد هذا البحث؛ ليكون مكملاً ومســتدركاً لما لم ينتبه له النحاة؛ وليكون إضافةً للدرس النحوي.

المُقدّمــة:

يعرض هذا البحث ظاهرتين نحويتين ثم اســتنباطهما من القرآن الكريم لم تتناولهما كتب النحو بالدراسة، وقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، حيث تم عرض ما ورد في بعض كتب النحو حول حذف التوابع وما قيل في حذفها، وأســلوب الاســتغاثة وما قيل فيه، وبعد ذلك انتقل البحث لعرض تلكما ظاهرتين نحويتين اللتين

وُجدتا في الكتاب العزيز، وسيجد القارئ الوصف والتحليل في عرضهما مدعماً بشواهد القرآنية.

وقد أعد هذا البحث؛ ليكون مكملاً ومستدركاً لما لم ينتبه له النحاة؛ وليكون إضافةً للدرس النحوي. حذف البدل والمبدل منه: وقد أشارت أمهات كتب اللغة في باب التوابع إلى ظاهرة الحذف، وقد ذكر سيبويهُ – رحمه الله – في هذا الباب حذف المنعوت ولم يُشر إلى حذف النعت فاستدل في هذا بقول الشاعر:

كأنك من جمال بني أُقيش يُقعقَعُ خلفَ رجليه بِشَنٌّ (1)

وأما ابن مالك – رحمه الله – فأشار إلى حذف النعت والمنعوت فقال:

وما من المنعوت والنعت عُقِلْ يجوز حذفه، وفي النعت يقلْ (2)

واستدل الشارح ابن عقيل – رحمه الله – في حذف المنعوت بقوله - تعالى - ﴿**أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ**﴾ ، وفي حذف النعت بقوله - تعالى -: ﴿ **الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ**﴾ وقوله - تعالى - : ﴿**إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ**﴾ (3)

وفي باب العطف لم يذكر سيبويه أحكاماً للحذف، بل اكتفى بذكر الحروف العاطفة وأمثلتها وشواهدها في مواضع متفرقة في كتابه (4)، وأما ابن مالك، فقد أشار إلى حذف الواو والفاء مع معطوفيهما فقال:

والفاء قد تحذف مَعْ ما عطفت والواو، إذ لا ليس وهي انفردتْ
بعطف عامل مزال قد بقي معمولُه، دفعاً لوهم اتُّقي (5)

واستدل ابن عقيل – رحمه الله – في هذا الحذف بقوله - تعالى - : ﴿ **فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**﴾ (6) ، وقول العرب: راكبُ الناقة طليحان (7) ، وقول الشاعر:

إذا ما الغانيات برزن يومًا وزججن الحواجب والعيونا (8)

وأجاز ابن مالك – رحمه الله – حذف المعطوف عليه فقل:

وحذف متبوعٍ بدا هنا استبحْ وعطفك الفعلَ وعلى الفعل يصح (9)

واســتدل ابن عقيل على هذا الحذف بقوله – تعالــى - : ﴿ **أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْــكُمْ**﴾ [10] ، وأما الأستاذ عباس حسن – رحمه الله – فقد أشار في باب التوابع إلى حذف النعت والمنعوت، واستدل بشواهد على ذلك الحذف منها قوله - تعالى - : ﴿ **وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا**﴾ [11] وقول الشاعــر:

وقد كنت في الحرب ذا تدرأً فلم أعط شيئاً ولم أُمنعِ [12]

وقوله - تعالى - : ﴿فَلْيَضْحَكُوا **قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [13] ، وفي باب العطف أشار إلى عطف الواو لعامل حذف وبقى معموله [14] ، والحق أنه فصَّل الكلام في حذف المعطوف عليه بالأحرف الواو ، والفاء وأم ولا، مستدلاً ببعض الشواهد القرآنية والشعر، وذكر في هذا الجانب أيضاً حذف حرف العطف وحده والمعطوف عليه ، وخصَّ هذا الحذف بالواو و أو والفاء [15] .

والحق أن ظاهرة الحذف لا يختص بها النعت والعطف، بل تشمل باب البدل أيضاً، حيث إن حذفه وارد، وقد جاء في الفصيح حذف البدل في مواضع من القرآن الكريم والمبدل منه في مواضع أخرى، شأنه في ذلك شأن النعت أو المنعوت أو حرف العطف مع معطوفه.

والذي نبه الباحث إلى وجود هذا الظاهرة اللغوية هو ما أورده النحاة في تعريف البدل، وشرط وقوع الكلمة بدلاً مما قبلها، فقد وجدت في القرآن الكريم نصوصاً تشير إلــى أن هناك بدلاً محذوفاً أو مبدلاً منه مع توفير الشرط الذي نـص عليـه النحـاة، وقـد دل علـى هذا الحذف دليل مقالي أو حالي أو كلاهما، وقد قال ابن مالك رحمه الله في تعريفه:

التابع المقصود بالحكم بلا واسطةٍ هو المسمَّى بدلا [16]

فقوله (المقصود بالحكم) يعني أن البدل يصح أن يتسلط عليه العامل اللفظي تقديراً خيالياً لا لفظياً إذا أردنا ذلك التقدير دون فساد المعنى المراد ، وهذا هو ضابط إعرابه بدلاً، وقد أشار الأستاذ عباس حسن إلى هذا وشرحه شرحاً وافياً حيث قال إن البدل يكون على نية تكرار العامل تخيلاً لا حقيقةً، بمعنى لو وضعت البدل مكان المبدل منه لاستقام المعنى ؛ لأن عاملهما واحد ، ولكن دون تقدير للعامل نفسه للبدل ، وحجته أن ذلك التقدير

يُخرج الكلمة إلي إعراب أخر غير البدل ، واستثنى من ذلك كون العامل حرف جر ، فإنه جاز تقديره بإعادته لفظاً واستدل على ذلك بنصوص من القرآن الكريم [17] ، ولأجل ذلك نويت الكتابة في ظاهرة حذف البدل والمبدل منه ليضاف إلى الدرس النحوي حيث وردت في كتاب الله العزيز في مواضع كثيرة قياسية لم يذكرها النحاة في باب البدل.

أولاً ــ حذف البدل:

يجوز حذف البدل دون المبدل منه بشــرط أن يدل عليه دليل ومن ذلك قوله – تعالى- : ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ**﴾ [18] ، فالمراد بحكم التحريم هو تحريم أكلها، وتقدير الكــلام حرمت عليكم الميتة أكلها والله أعلم، والبدل المحذوف هنا بدل اشتمال؛ لأن الأكل ليس حقيقياً من المبدل منه، ودليل البدلية هنا أننا إذا تخيلنا البدل مكان المبدل منه، لاستقام المعنى الذي أشار إليه الأستاذ عباس حسن – رحمه الله – فنقول حرمت عليكم أكل الميتة، وهذا يؤكد لنا وجود بدل محذوف مطابق وموافق لما قرره النحاة، وقال – تعالى- : ﴿ **وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا**﴾ [19] . فإن الهلاك المفهوم من قوله "مهلكوها " لا يصيب القرية ؛ بل يصيب أهلها الظالمين ؛ لأنهم أصحاب فسقٍ وفجور، ويمكن أن نُقدر الكلام بقولنا : وإن من قريةٍ إلا نحن مهلكوها أهلها وإذا حذف المبدل منه وهو الضمير المتصل وأقمنا البدل مكانه صار السياق : وإن من قرية إلا نحن مهلكو أهلها ، فانظر معــي كيف استقام المعنى بعد حذف المبدل منه، وإقامة بدل الاشتمال محله، بل إن هناك دليلاً مقالياً بدل أن البدل محذوف دون المبدل منه هو قوله - تعالى - : ﴿ **إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ**﴾ [20] ، ومن خلال تقدير البدل المحذوف يتضح لنا أنه بدل اشتمال ، حيث إن أهل القرية ليسوا جزءاً حقيقياً من قرينهم، وما قيل في (مهلكوها) يقال في (معذبوها)، حيث إن المبدل منه وهو الضمير المتصل ليس مقصوداً بالعذاب بل المقصود أهلها ، والتقدير: أو معذبوها أهلها، وإن شئت تسليط العامل على البدل مباشرة وتخيله قلت: أو معذبو أهلها.

وقال - تعالى- : ﴿**فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي**﴾ [21] ، فالبدل هنا محذوف جوازاً تقديره: ملتي بدليل قوله - تعالى-: ﴿**ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا**﴾[22] ، ومن هذا الدليل على الحذف يتضح لنا صحة تسليط العامل على البدل بعد حذف المبدل منه ، وهو بدل اشتمال، حيث إن الملة ليس جزءاً حقيقياً من إبراهيم - عليه السلام- ومن ذلك - أيضاً - قوله - تعالى - : ﴿ **أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ**﴾ [23] ، ففي قوله (لا يعلمهم إلا الله) بدل محذوف جوازاً والتقدير : لا

يعلمهم أخبارهم ، بدل اشتمال من الضمير المتصل، وجاز وقوع المحذوف بدلاً ؛ لصحة تسليط العامل في المبدل منه على البدل فتقول: لا يعلم أخبارهم إلا الله ، ودليل الحذف هنا مقالي وهو قوله : (ألم يأتكم نبأ) أي أخبارهم وقصصهم. ومنه قوله- تعالى - : ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾ [24] ، فإن المقصود بالحبل هو دين الإسلام ، ويجوز أن يكون القرآن الكريم ، والتقدير واعتصموا بدين الله أو بقرآن الله، وهو بدل مطابق ، والله أعلم ، وقال - تعالى - : ﴿ **مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ**﴾ [25] والتقدير: ما يعلمهم عددهم إلا قليل، والدليل على الحذف هو مقالي ، قال – تعالى- : ﴿ **سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ**﴾ [26] ، وقال - تعالى - : ﴿ **وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ**﴾ [27] فإن المرور يكون على القوم الذين أهلكهم الله؛ لأنهم غُيبوا في الأرض واختفوا بمرور السنين ولم يعد لهم أثر، ولكن يكون على ديارهم التي كانوا يسكنون فيه ، قال الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي – رحمه الله – في تفسير هذه الآية "أي على ديار قول لوط" [28] بدليل قوله - تعالى - : ﴿ **فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا**﴾ [29] وتقدير البدل المحذوف في الآية الكريمة: وإنكم لتمرون عليهم ديارهم مصبحين. وقال – تعالى- : ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [30] وتقدير البدل المحذوف: واجتنبوا الطاغوت عبادته، ودليل حذف البدل قوله - تعالى - :﴿**وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى**﴾ [31].

ثانياً ـ حذف المبدل منه:

ويحذف المبدل منه أيضاً ويحل البدل محله فيأخذ حكمه الإعرابي حسب موقعه في السياق ، ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى ﴿**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾ [32] ، وتقدير المبدل منه المحذوف : حتى تتبعهم ملتهم ؛ لأن الاتباع يكون للملة وليس لليهود أو النصارى، فحذف المبدل منه وأقيم البدل مقامه فصار مفعولاً به ومنه قوله - تعالى - : ﴿**وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ**﴾ [33] فحذف المبدل منه وتقديره (الكافرين) ، أي: ولئن اتبعت الكافرين أهواءهم مالك من الله من ولي ولا واقٍ ، فحذف المبدل وخو الاسم الظاهر وحل البدل محله وأخذ حكمه الإعرابي ، والدليل على جواز الحذف قوله - تعالى -: ﴿ **فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي**﴾ [34] وقوله تعالى﴿ **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى**﴾ [35] فالمبدل منه محذوف في الآية

الكريمة وتقديره : فمن تبعني هداي فلا يضل ولا يشقى ، ويدلنا على هذا الحذف قوله - تعالى - : ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**﴾ (36) .

وتلك الشواهد التي سبقت في حذف البدل والمبدل منه تدل على أن هذا الحذف قياسي وليس شاذاً، ومحاكاته بلاغة وفصاحة من المتكلم إذ إن القرآن الكريم هو أفصح المصادر التي نستنبط منها قواعد اللغة ، قال - تعالى - : ﴿ **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾(37) .

الاســـــــتغاثة:

ورد أسلوب الاستغاثة في كتب النحو متكونا من حرف الاستغاثة وهو (يا) والمستغاث له بلام مكسورة والمستغاث بلام مفتوحة، وفي هذا يقول ابن مالك:

إذا استغث اسم منادي خفضا باللام مفتوحًا كيا لَلمُرتضى (38)

فالمستغاث هو الذي يُطلب منه العون ودفع الشدة، وأما المستغاث له فهو الذي من أجله تحصل الاستغاثة.

هذا هو أسلوب الاستغاثة عند النحاة فهو لا يكون إلا بياء النداء والام الجارة للمستغاث والمستغاث له، حسب الأحكام التي وردت في كتب النحو. (39)

والحق هذا الأسلوب لم يقتصر على ما أوردته كتب النحو من حيث الصيغة والتركيب، فقد ورد بصيغتين أخريين تختلفان كل الاختلاف عن الصيغة المشهورة المدونة في كتبهم.

والقرآن الكريم أفصح مصادر اللغة العربية وأعلاها، وردت فيه الصيغتان بأسلوب فصيح وراقٍ ينبئ عن فصاحة وبلاغة اختصت بها لغتنا العربية، وهذا الأسلوب ورد في القرآن الكريم في مواضع كثيرة منها في الشعر، وهو أيضاً يتألف من مستغاث ومستغاث له، غير أنه يختلف، فالأداة هنا هي الفعل الصريح الذي يدل على طلب العون ودفع الشدة. وما لفت انتباه الباحث هو أن القرآن الكريم استعمال أسلوب صيغة الفعل الصريح. وأما الصيغة غير الصريحة التي تدل على الاستغاثة فقد دله الباحث عليها لعرضهم للاستغاثة التي هي: نداءً موجه إلى من يُخلصه من شدة الواقعة بالفعل أو يعين على دفعها قبل وقوعها" (40) ، حيث إن الصيغة غير الصريحة تدل نداء موجه إلى من يعين على دفع الضرر والشدة وستبين هذه الدراسة صفة كل صيغة والفرق بينهما وبين الصيغة المشهورة ومكوناتها مدعمة بالشواهد الفصيحة.

أولاً ـ الاستغاثة الصريحة:

وهذه الاستغاثة يتم فيها ذكر الفعل الذي يدل على طلب العون ودفع الضرر والشدة، حيث

يستعمل فيها الفعل المضارع والماضي، وقد ذكر معها المستغاث والمستغاث له ومن ذلك قوله تعالى ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ**﴾ (41) ونرى هنا أن وسيلة الاستغاثة هي الفعل المضارع الصريح، والمستغاث هو (ربكم) حيث إنه هو الذي يعين على دفع الضرر والشدة والمستغاث له هو الضمر المتصل بالفعل الصريح واو الجماعة، ومثل ذلك قوله تعالى ﴿**وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آَمِنْ**﴾ (42) ، فلفظ الجلالة الواقع مفعولاً به هو المستغاث والضمير المتصل بالفعل ألف الإثنين هو المستغاث له، ومثل ذلك أيضا قوله تعالى {وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ} (43) ، ففي هذه الآية الكريمة نجد فعلين مضارعين يدلان على الاستغاثة هما (يستغيثوا) و (يغاثوا) ، الأول حذف منه المستغاث وهو اسم مجرور بحرف الجر التقدير: وإن يستغيثوا بشي ، والمستغاث له هو واو الجماعة في الفعل يستغيثوا وكذلك الفعل بالفعل ألف الاثنين هو المستغاث له، ومثل ذلك أيضا قوله تعالى (يغاثوا) ، فإن المستغاث له هو نائب الفاعل الضمير المتصل واو الجماعة ، والمجرور بحرف الجر هو المستغاث.

ومن الاستغاثة بالفعل الماضي قوله تعالى ﴿**فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ**﴾ (44) ، فالضمير المتصل في الفعل (استغاثة) هو المستغاث ؛ لأنه يعود على نبي الله موسى – عليه السلام، والمستغاث له هو الاسم الموصول (الذي).

ثانياً ـ الاستغاثة غير الصريحة (الاستغاثة المعنوية):

وفيها يستعمل هذا الأسلوب دون التصريح بالفعل، ولكن وجود المستغاث في شدة مع ندائه الصريح أو من غير نداء يجعلنا ندر أننا أمام أسلوب الاستغاثة، ومن الشواهد على ذلك قوله – تعالى- : ﴿ **فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ**﴾ (45) ، فوقوع الرجل من بني إسرائيل في شدة وطلبه للعون من موسى - عليه السلام - يدل على أن المقام مقام استغاثة ولكن دون تصريح بالفعل الذي يدل على الاستغاثة الصريحة، فالضمير المتصل في قوله (استنصره) هو المستغاث والضمير المستتر هو المستغاث له ، وكذلك الضمير المتصل في قوله (يستصرخه) هو المستغاث ، الضمير المستتر هو المستغاث له.

ومن الاستغاثة المعنوية قول طرفة بن العبد:

ولست بحلال التلاع مخافة ولكن متى يسترفد القوم أرفد (46)

فقوله: يسترفد القوم أرفد، يدل على طلب القوم للعون منه، والمستغاث محذوف تقدير: متى يسترفدني القوم، وهو ياء المتكلم، والفاعل هو المستغاث له، وكذلك في الفعل (أرفدِ)

حيث حذف هنا المستغاث له جوازاً؛ لوجود دليل مقالي، تقدير (أرفدهم) والمستغاث هو الضمير المستتر وجزبا وتقديره (أنا).

ومنه قوله تعالى ﴿ **وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ**﴾ (47) ، فقوله (استنصروكم) بمعنى طلبوا منكم النُّصرة وهذا دليل أن الاستغاثة معنوية، تفهم من سياق الكلام، فالضمير المتصل الذي محله الرفع هو المستغاث له، والضمير المتصل الذي محله النصب هو المستغاث ؛ لأنه هو المطلوب منه دفع الشدة والبلاء ، ومنه قوله تعالى ﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ**﴾ (48) فالمتأمل في المعنى المستفاد من هذه الآية الكريمة يشعر أن هنا استغاثة وطلب عون من بني إسرائيل لموسى – عليه السلام – فالضمير المستتر في قوله (فادع) هو المستغاث والمجرور (لنا) هو المستغاث له؛ لأنه يُطلب له العون، وقال تعالى ﴿ **رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا**﴾ (49) ، فنزول وحلول الظلم والشدة على المستضعفين جعلهم يستغيثون ربهم ؛ لكشف الظلم و العذاب عنهم، فالضمير المستتر في قوله (أخرجنا) هو المستغاث والضمير المتصل بالفعل هو المستغاث له، ومنه قول تعالى في أهل النار ﴿**وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ**﴾ (50) فصُراخ أهل النار دليل على أنهم في بلاء وشدة ؛ ولهذا هم يستغيثون بربهم أن يخرجهم من النار، والضمير المتصل الذي محله النصب هو المستغاث له والمستغاث هو الضمير المستتر وجوبا في قوله (أخرجنا) ، وقال تعالى ﴿**قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ**﴾ (51) ، فحلول الطوفان على قوم سيدنا نوح -عليه السلام – هو المستغاث له ، والجبل هو المستغاث ، وقال- تعالى - : ﴿**يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا**﴾(52) ، فالضمير في الفعل (أوف) هو المستغاث ، والضمير في قوله (لنا) هو المستغاث له؛ وقال تعالى ﴿**رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ**﴾ (53) ، فالنبي لوط - عليه السلام – يستغيث بربه من قومه، فالضمير المستتر في قوله (انصرني) هو المستغاث ، وياء المتكلم هي المستغاث له؛ لأنه هو الذي بسببه تحصل الاستغاثة ، وقال - تعالى- : ﴿**وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ**﴾ (54) ، فالاستفهام يوحي بالاستغاثة ، والرسول – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنون هم المستغاث له ، ولفظ الجلالة هو المستغاث به ، وقال تعالى {**رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ**} (55) وهذا دعاء نبي الله صالح – عليه السلام – يطلب النصرة من ربه بسبب تكذيب قومه له، فطلبُ النصرة من ربه استغاثة، فالضمير المتصل في (انصرني) هو المستغاث له، والضمير المستتر في هو المستغاث ، وقال- تعالى - : ﴿**وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ**﴾(56) ، فطلب السُّقيا من موسى – عليه السلام – استغاثة ، فنبي الله موسى – عليه

السلام – مستغاث له، والمستغاث به محذوف وتقديره: وإذا استسقى موسى من ربه لقومه ، والله أعلم وقال تعالى ﴿**وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ**﴾ (57) ، فقوله تعالى (تدعون) أي تستغيثون به فالواو هي المستغاث له، والمفعول به محذوف عائد الصلة هو المستغاث.

ما تتصف به صيغتا الاستغاثة:

من خلال ما تم عرضه من الشواهد يتضح لنا أن هاتين الصفتين تتصفان بما يأتي:

1- عدم دخول اللام الجارة على المستغاث والمستغاث له.

2- تقدم المستغاث له على المستغاث (المستغاث به).

3- جواز الاستغاثة بالنداء أو بغير نداء.

4- جواز حذف المستغاث أو المستغاث به لوجود دليل.

من خلال هذه المميزات لهاتين الصيغتين يمكن أن نجد الفرق بين الصيغة المشهورة التي نصت عليها كتب النحو وبين هاتين الصيغتين ما يتفقان فيها:

1- أسلوب الاستغاثة بالصيغة المشهورة يكون فيه المستغاث والمستغاث له مجرورين باللام الجارة، وأما في صيغة الفعل والصيغة المعنوية يكونان في الغالب فاعلاً ومفعولاً به.

2- تتفق الصيغة المشهورة مع صيغة الفعل، والصيغة المعنوية في جواز حذف المستغاث والمستغاث له بشرط وجود دليل.

3- الصيغة المشهورة للاستغاثة هي النداء بالحرف (يا) ، وأما في الصيغتين الأخريين، فالنداء ليس واجبا بل يكتفي بذكر الاستغاثة وركنيها.

النتائج والتوصيات:

توصل الباحث بعد هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

1- نقص استقراء اللغة أدى إلى عدم وجود هذه الظاهرتين النحويتين في كتب النحو.

2- وجود هاتين الظاهرتين في القرآن الكريم في مواضع عديدة والدليل على أن حذف البدل والمبدل منه والاستغاثة قياسي وليس شاذاً.

3- القرآن الكريم يجب أن يكون المصدر الأول لوضع قواعد النحو؛ لأنه أقوى مصادر اللغة وأفصحها.

4- هذه الدراسة تعطي المجال لوجود ظواهر لغوية أخرى لغرض دراستها ونشرها.

الهوامـــــــــش:

1. الكتاب سيبويه، تحقيق عبدالسلام هارون ، دار الجيل بيروت ط1 345/2
2. شرح ابن عقيل على ألفيه ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد د ط 205/2
3. المصدر السابق ، الصفحة نفسها.
4. انظر الكتاب ، سيبويه، 399/1 ، 429/1 ، 42/3 ؛ 501/3
5. شرح ابن عقيل 241/2
6. المصدر السابق 242/2
7. المصدر السابق ، الصفحة نفسها
8. المصدر السابق ، الصفحة نفسها
9. المصدر السابق 243/2
10. المصدر السابق ، الصفحة نفسها
11. النحو الوافي ، عباس حسن ، دار المعارف ط6 492/3
12. المصدر السابق 493/3
13. المصدر السابق 495/3
14. المصدر السابق 563/3 ، 564 ، 571/3
15. المصدر السابق 638/3 وما بعدها
16. شرح ابن عقيل 247/2
17. انظر النحو الوافي 378/3 ، 379
18. المائدة 3
19. الإسراء 58
20. العنكبوت 31
21. إبراهيم 36
22. النحل 123
23. إبراهيم 9
24. آل عمران 103
25. الكهف 22
26. الكهف 22
27. الصافات 137
28. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان عبدالرحمن بن ناصر السعدي ، دار الذخائر / تحقيق عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص 991
29. النمل 51،52
30. النحل 36
31. الزمر 17
32. البقرة 120
33. الرعد 37
34. إبراهيم 36
35. طه 123
36. آل عمران 31
37. الإسراء 88
38. شرح ابن عقيل 2 / 280

39. انظر المصدر السابق 2 / 208 وما بعدها
40. النحو الوافي 4 / 77
41. الأنفال 9
42. الأحقاف 17
43. الكهف 29
44. القصص 15
45. القصص18
46. ديوان طرفة بن العبد / تحقيق مهدي محمد ناصر / بيروت دار الكتب العلمية ط 3 2002 م ص 24
47. الأنفال72
48. البقرة 61
49. النساء 75
50. فاطر 37
51. هود 43
52. يوسف 88
53. العنكبوت 30
54. البقرة 214
55. المؤمنون 39
56. البقرة 60
57. الإسراء 67